قلاع في السماء (نور بخش هوتي)

(نص مسرحي مترجم للغة العربية من اللغة الفارسية)

ترجمة م.م. محمد عطا سلمان
كلية الفنون الجميلة/ جامعة واسط

حول الكاتب

أستاذ مساعد في الادب المسرحي، جامعة الرازي، كرمانشاه، إيران

ايميل: nhooti@yahoo.com

حاليا: أستاذ زائر، جامعة تورنتو، قسم اللغة الإنكليزية.

ايميل: noorbakhsh.hooti@utoronto.ca

الشخصيات

أرش: خمسة واربعون عاما، طبيب ممارس في إيران.

سارة: ثمانية وثلاثون عاما، زوجة أرش.

نيما: أربعة وستون عاما، مهاجرة تعيش في تورنتو.

رضا: سبعه وأربعون عاما، مهاجر يعيش في تورنتو.

نيدا: اربعون عاما، زوجة رضا.

علي: خمسون عاما، مهاجر في تورنتو.

المشهد الأول

[في ظهيرة يوم مثلج من شهر شباط سنة ٢٠١٠. أرش يجلس في غرفة الرسم الموجودة في شقته المكونة من ثلاث غرف في طهران عاصمة إيران، يستمع إلى إغنية تايتانيك الرومانسية "قلبي سيستمر بالنبض"، ويتصفح في جهاز اللابتوب الخاص به؛ سارة (زوجته) في المطبخ، تغني بصوت خافت إغنية سلين ديون قلبي سوف يستمر بالنبض.....، وفي نفس الوقت تحضر شيئا للغداء. اطفالهم الاثنان يقضون الوقت في غرفهم الخاصة مع اجهزتهم اللوحية.]

[أرش يلقي نظرة على بريده الالكتروني الخاص وفجأة يشعر بالفرحة وينادي زوجته]

أرش: سارة، سارة، سارة!

سارة: ماذا حصل؟ ماذا حصل؟ لماذا تصرخ؟ حصلت على ترقية أم فزت ببطاقة اليانصيب؟

أرش: أكثر من الترقية واليانصيب؛ احزري ماذا؟

سارة: أرجوك قل لي، ماذا حصل؟

أرش: الخمس سنوات انتهت الان. سوف نذهب إلى إرض أحلامنا. أستطيع أن اتخيل نفسي واقفا على برج سي ان واستمتع بالمنظر الجميل لمدينة تورنتو.

[سارة تنغمر بالفرحة وتشعر كأنهم ربحوا جائزة كبيرة ابنتها صاحبة العشر أعوام وابنها صاحب الستة عشر عاما انضموا لإمهم وشاركوها الفرحة]

أرش: كل شيء انتهى الأن، علينا أن نحصل على التقرير الطبي بعدها سوف نسافر لتورنتو. واو! لا اصدق.

سارة: الفخر يعود لي.

أرش: ماذا تقصدين عزيزتي؟

سارة: انا كنت السبب فلقد طلبت منك السفر الى كندا.

أرش: لهذا السبب احبك عزيزتي. دائما أحب قراراتك وكذلك اختياراتك الفريدة، خصوصا عندما اخترتني.

[الجميع ضحك بسعادة]

سارة: يا إلهي! لقد حصلنا عليها لا أستطيع تصديق ذلك! فوق كل ذلك ابننا سوف لن ينظم للجيش من أجل أداء الخدمة العسكرية. هو سوف يكون بمأمن هنالك. انظر أرش لا تقل لأي شخص اننا سوف نذهب لكندا وذلك لكون الناس سوف يشعرون بالغيرة. لا يمكنهم ان يتخيلوا اننا سوف نذهب لواحد من أفضل البلدان في العالم. هم بالتأكيد سوف يضعون لنا شيئا جالب للنحس.

أرش: توقفي عن هكذا أفكار عزيزتي!

سارة: بالطبع الناس عادة يميلون للغيرة وكل شخص مجنون بفكرة العيش في كندا.

أرش: (يضحك) حسنا! ماذا سوف أفعل مع العيادة وعقودي مع المستشفيات؟

سارة: فلتذهب عيادتك وعقودك الى الجحيم نحن سوف نذهب لكندا وأنت لا زلت تفكر بالعيادة والمستشفيات! قل وداعا لكل شيء ولكل شخص ولا تقلق أنت سوف تعمل بأفضل المستشفيات في العالم.

أرش: هل تعتقدين انه ممكن؟

سارة: لماذا لا يا عزيزي؟ في كندا يبدون اهتمام كبير بالأشخاص المتعلمين وبالخصوص الأطباء. لا تنسى إننا سوف نذهب كعمال ماهرين وهذا يعني إنهم بحاجة لمهاراتنا. أنا متأكدة أنك سوف تحصل على وظيفة في أي مستشفى حالما تصل.

أرش: ليست بتلك السهولة فهنالك إجراءات معقدة.

سارة: وماذا اذن! الإجراءات لا يمكن أن تأخذ أكثر من سنة أو على الأقل سنتان كحد أقصى.

أرش: لقد انتظرت لمدة طويلة لمثل هكذا أخبار لذلك أشعر إنها ليست بهذه السهولة!

سارة: توقف عن هذا عزيزي! هنالك الكثير من الأطباء والأشخاص المتعلمين قد سافرو إلى كندا وهم الان سعداء ويستمتعون بحياتهم هناك.

أرش: هل تتذكرين حامد؟

سارة: طبيب الاسنان؟

أرش: نعم.

سارة: هو في اوتاوا الان؟

أرش: نعم لكنه لا يبدوا جدا مسرور لقد أبلغني انه يعمل في أعمال مختلفة.

سارة: لأجل الله! لا أتفاجأ لماذا الإيرانيين لا يتوقفون عن شعورهم بالغرور.

أرش: ماذا تقصدين؟

سارة: واضحة جدا. انه غيور أيضا مثل البقية. الناس لا يريدون اظهار حقيقة الحياة في كندا ولا يريدون الاخرين ان يأتوا اليها وكأنهم يريدون ان يغيروهم! انه شيء مألوف لدى الإيرانيين هذه الأيام! ولهذا السبب يتظاهرون كأنهم غير سعداء!

أرش: توقفي عن هذا ولا تكوني جدا متشائمة! ليس جميعهم مثل ما ذكرت. حسنا حامد لا يحتاج الى مثل هكذا أكاذيب.

سارة: لو كان حامد ليس سعيداً فماذا يفعل هناك؟ لماذا لا يعود؟ لم يرغمه أحد على البقاء هناك! أليس الامر غريب؟

أرش: فقط انسي الموضوع! دعينا نفكر بإيجابية.

سارة: لو تستمع الي سوف لن تشعر بالندم انت تعرف جيدا إن كندا تحترم المتعلمين. لذلك لا تتشاجر. أنا متفائلة بالموضوع.

أرش: لنفرض إن الأمور انقلبت رأسا على عقب ماذا سنفعل نحن حينها؟

سارة: حسنا سوف نعيش كبقية الناس. تذكر نحن سوف نكون معا في السراء والضراء! توقف عن ذلك ودعنا نمرح ونحتفل اننا سوف نذهب لبلد استثنائي.

أرش: أنت محقة يجب أن أكون أكثر إيجابية. كندا هي احدى البلدان الاستثنائية التي تعطي أهمية عالية للمتعلمين ولهذا السبب أن العمال المحترفون مرغوبين في دائرة الهجرة باستثناء جزء قليل منهم وخصوصا الذين يذهبون من خلال الاستثمار المالي.

سارة: مؤهلاتهم لم تكن مهمة لهم وأيضا الكنديون لم يطلبوا مهاجرين متعلمين.

أرش: انت محقة هذا تحفيز جيد.

سارة: يجب ان نفعل شيء أولا وهو ان نبيع كل ما نملك هنا.

أرش: لدينا منزلين وعيادة وسيارتين. دعينا نحتفظ ببيت واحد على الأقل.

سارة: لو احتفظنا بمنزل واحد والدتك سوف تقوم باستثماره وانت أيضا ضعيف امام والدتك لا تستطيع ان تقول لها كلا. الأفضل ان نقوم ببيع البيتين.

ارش: ليس من الحكمة ان ندمر كل جسورنا.

سارة: لا تقلق عزيزي ؛ لا نحتاج أي جسر والسبب نحن لن نعود ابدا. قريبا جدا سوف أجلب امي وأبي الى كندا أيضا والسبب انهم عانوا كثيرا وانا اريد أن أنقذ حياتهم.

أرش: (يبتسم) أستطيع ان أتحدى العالم كله ولكن ليس انت. عزيزتي (يبتسم) تذكري المفخرة بهذا القرار تعود لك أيضا.

[ارش وعائلته بعد ان اتموا الاختبارات الطبية حصلوا على رسالة من العلاقات العامة ثم قاموا ببيع كل ممتلكاتهم. أرش ألغى كل تعاقداته مع المستشفيات وقام ببيع عيادته على أمل التطوع بإحدى مستشفيات تورنتو. بعدها سافرت العائلة الى تورنتو ارض احلامهم.]

المشهد الثاني

[تموز ٢٠١٠. بعد شهر واحد من بقائهم في تورنتو أرش بتم دعوته بواسطة صديقه القديم رضا لمنزله ليعرفه على بعض المهاجرين الإيرانيين الذين وصلوا الى تورنتو قبل عدت سنوات]

رضا: مرحبا شباب، دعوني أعرفكم بصديق قديم لي الذي وصل لتوه من إيران. اسمه أرش. هو هنا بصحبة زوجته وأبنائه. أيضا هو طبيب.

علي: أهلا وسهلا بك في تورنتو أو الأفضل طهران المصغرة او طهرانتو. أكثر من مائة ألف إيراني يعيشون هنا. سوف لن تشعر بأنك وحيد هنا. بالمناسبة كيف كان أول شعور لك حول تورنتو؟

أرش: حسنا، جميلة لكن كانت لدينا صورة سينمائية عن تورنتو، مثل البنايات الشاهقة والشوارع الواسعة الحديثة! على الرغم من ذلك نحن نعشق قوانين المرور والهواء النظيف.

علي: تورنتو مدينة جميلة. على فكرة هل ذهبت الى مركز الجزيرة؟

أرش: كلا، فقط برج سي ان. لقد احببناه حقا. تورنتو تبدو كأنها مدينة جميلة. انا جدا سعيد لأني اخترت تورنتو للسكن. أتمنى أن نحصل على مستقبل جيد هنا بالخصوص بالنسبة لمستقبل أطفالنا.

علي: لقد اتخذت قرار حكيم. اطفالك سوف يعشقون هذه المدينة. حقا الأطفال يستمتعون في مدارسهم هنا.

رضا: (يضحك) لا تنسى النساء.

علي: انا واثق أنك قد اتيت الى كندا وبجعبتك معلومات كافية عن الحياة هنا.

أرش: حسنا، ممم..... نعم بالطبع، لكن مع الأسف وصلتني معلومات متضاربة من أناس مختلفين. اشعر انهم لم يكونوا ميالين لمشاركة معلوماتهم حول الحياة هنا! او ربما صورتنا حول كندا من إيران كانت خيالية!

علي: (لم يندهش كثيرا) حسنا، الناس لديهم وجهات نظر مختلفة.

أرش: انت محق. في الواقع لقد قمت ببعض التحريات عن طريق الانترنيت أيضا، لكن ما سمعته من الناس لم يكن مشابها. فوق كل هذا اغلبهم تحدث عن المستقبل الموعود لكن مع نوع من القلق.

علي: (يبتسم) الاحلام لا تصبح حقيقة دائما.

أرش: لكن، أتمنى تجربتي ان لا تكون مختلفة من المعلومات التي حصلت عليها.

علي: على كل حال أتمنى لك الأفضل.

أرش: شكرا، التوفيق على الله ونأمل الأفضل.

علي: حتما، وهذا هو المطلوب.

أرش: بالمناسبة، منذ متى انت في كندا؟

علي: منذ ثلاث سنوات، في الواقع انا و رضا اتينا معا.

أرش: ماذا عنك مهدي؟

مهدي: منذ أربعة سنوات.

أرش: (لعلي) ماذا كنت تعمل في إيران؟

علي: صيدلي، لكن تركت كل شيء من أجل عائلتي.

[نبرة صوت علي لا تحمل أي من معاني الفرح]

أرش: يجب ان تعمل هنا كصيدلي أيضا.

[بدأ الجميع بالضحك]

علي: انت جديد هنا. سوف تكون أكثر اطلاعا بقوانين العمل هنا. كن صبورا صديقي. هنا يوجد شيء واحد مهم وهو "شهادة الخبرة الكندية". وهي شرط مهم لكل أنواع الوظائف و الحصول على وظيفة بدون هذه الشهادة هو شيء مشابه للفوز ببطاقة اليانصيب ما عدا بعض الوظائف التي لا تحتاج لخبرة.

أرش: (مندهش) كيف يمكن الحصول على " شهادة الخبرة الكندية " بدون الحصول على فرصة العمل في كندا؟!

علي: (يبتسم) هذا سر من أسرار الحياة هنا في كندا!

[أنصدم أرش وارتبك، مصطلح شهادة الخبرة الكندية الجديد ينقر في رأسه]

أرش: لماذا لم تستطع الحصول على وظيفة كصيدلي؟

علي: هنا إلزاميا على جميع الأطباء والجراحين الأجانب ان يلتحقوا ببعض الدورات للحصول على إجازة عمل و بعدها يجب الانتظار اذ تم الحصول على المؤهلات للعمل في اونتاريو او في محافظات أخرى و هذه عملية طويلة و معقدة.

أرش: لدي بعض المعلومات حول هذا الموضوع. يجب ان تكون قد حصلت على شهادات مماثلة فانت هنا منذ مدة طويلة.

علي: نعم. لكن لم استطع ان احصل على عمل كصيدلي الى الان لكن الوضع ليس ميؤوس منه على كل حال.

أرش: (يشعر بالصدمة) حسنا ماذا تفعل الان؟

علي: انا اعمل كأمين صندوق في شركة كوستكو لكن لاأزال أحاول للحصول على وضيفة كصيدلي.

أرش: (يشعر بصعقة تضرب رأسه) مستحيل!!!!

علي: لكن لم أهزم إلى الان.

أرش: (بدهشة) هذا سخيف. توقعت شهادة الخبرة الكندية تعني عدم تركك بدون عمل في كندا!

علي: لا تتعرق اخي! سوف تسمع مثل هذه المصطلحات كثيرا.

[*أمال أرش بالحصول على عمل كطبيب بدأت بالاضمحلال، وبمجرد ان يتعرف على شخص اخر يبدأ حديثه عن الوظيفة.*]

أرش: (يوجه كلامه لمهدي) ماذا كانت وظيفتك في إيران؟

مهدي: كنت مدير عام لشركة. كنت شخصية مهمة (بابتسامه تعبر عن الحنين الى الماضي). دعني أقول لك شيء اذ أردت الحصول على حياة هادئة هنا يجب عليك ان تنسى ماذا كنت في أيران. عليك ان تبدأ من الصفر.

رضا: صحيح. انظر هذه تسمى كندا وهي عالم مختلف. كندا عبارة عن مجتمع منضبط بشكل جيد بقواعدها وقوانينها الخاصة. بالواقع الاختلاف واضح بين كندا وكل البلدان الأخرى.

أرش: لا اعتقد ذلك لقد اتينا الى هنا لكي نمحي الماضي! في الواقع وضعنا في السابق قادنا الى هنا لذلك كيف علينا ان ننسى ما نحن عليه و نبدأ من الصفر.

رضا: كلا انا لا أقصد هذا. قصدي إنه كل شيء ممكن في هذا البلد. هنا عدد كبير من الناس اثبتوا نجاحهم و أيضا هنا يوجد عدد مشابه فشلوا.

أرش: (الى مهدي) لم تقل لي ماذا تعمل.

مهدي: حسنا انا اعمل لدى دومينوز بيتزا.

أرش: اه. انت مدير الدومينوز بيتزا!

[مهدي يشعر بالخجل لكنه يتمالك نفسه]

مهدي: انا لست مديرا. ليست بهذه السهولة ان أصبح بهكذا منصب. في الواقع انهم بصعوبة يعطونا هكذا منصب.

أرش: (يشعر بالحيرة) لا تقل لي أنك تصنع البيتزا!

مهدي: مستحيل. انا لم أصنع بيتزا واحدة في حياتي، و لكي تصنع واحدة تحتاج أيضا لشهادة خبرة كندية و التي لا أملكها.

أرش: أذا ما هو عملك الذي لا يحتاج لشهادة الخبرة؟

[مهدي يحاول التلاعب بالكلمات لكي يتهرب من السؤال]

مهدي: انظر في كندا ليس من المهم ماذا تعمل المهم هو كم تجني من النقود. الذي مهم جدا هو أنك في كندا بلد الحرية و أرض الاحلام بالنسبة للأسيويين (يبتسم).

[أرش يشعر بخدر في لسانه يمنعه من سؤال مهدي عن وظيفته الحالية لكنه لا يستطيع انهاء ارتباكه الغامض]

أرش: ماذا تفعل بالضبط في الدومينوز بيتزا.

مهدي: (يتظاهر بأنه هادئ) انا سائق توصيل الطلبات.

أرش: مااااذا؟! تقوم بتوصيل البيتزا بعد وقت طويل من العيش في كندا؟! انت تمزح!

مهدي: حسنا دكتور استيقظ! انت لست إيراني بعد! انت تعيش في كندا! هنا عدد كبير من الأطباء و الأشخاص المتعلمين الذين يعملون هنا اما سائقي سيارات اجرة او طباخون في المطاعم او حراس أمن.

أرش: ربما نحن نحتاج لهكذا وظائف لفترة معينة لكن ليس كمهنة دائمة و لوقت طويل.

مهدي: تعتمد على حظك. التعليم الجيد هو نقطة إضافية لكن ليست ضمان للوظيفة يجب عليك العودة الى وطنك.

أرش: (بنظرة حادة) جدا صعب أو من الأفضل أن تقول مستحيل لتبدأ بعمل جديد على الأقل بالنسبة للأشخاص مثلناّ.

مهدي: العديد من الأشخاص مثلك و مثلي يعملون كسائقي سيارات اجرة او كحراس امنيين لكنهم لا يزلون فرحين، وهنالك أيضا العديد منهم استسلموا و عادوا الى الوطن!

أرش: (تحطم تماما و شعر بالخوف) سائق سيارة أجرة!؟ حارس أمن (ضحك بإحباط). لا يمكن أن يكونوا سعداء! ربما يخدعون أنفسهم! هم بالتأكيد يعانون في داخل أنفسهم! هذا كاف!

مهدي: توقف و أهدأ.

ارش: لكن اتينا الى هنا كمهنيين ذو خبرة! و ليس كعمال!

مهدي: لا تفقد إيمانك انت لا تزال جديد هنا. لديك طريق طويل لتمر من خلاله. انظر الى العمال المهرة الناجحين أيضا.

من يعلم ربما تنال وظيفتك المفضلة مثل الاخرين، توكل على الله. وتذكر،" لكل سحابة هنالك بطانة بفضية".

[جرس الباب يقرع]

[رضا يذهب لكي يفتح الباب؛ رجل ذو أربع وستون عاما يدخل]

رضا: أعرفك بالطبيب نيما. هو في كندا منذ عشرون عاما.

[أرش يشعر بالفرح للقاء طبيب اخر. يبدأ بالتفكير ان نيما ربما يغير وجهة نظره حول إعصار تسونامي المفاجئ]

نيما: اهلا وسهلا بك دكتور هنا.

أرش: شكرا لك دكتور.

[بعد تحيات دافئة ورفع الشراب بصحة الضيوف، أرش يتحرك كطيار أليه ويبدأ مقابلته]

أرش: ماذا تعمل دكتور؟

نيما: انا اعمل في مستشفى ماكينزي المركزي.

أرش: هل كنت طبيب في إيران أيضا؟

نيما: نعم.

أرش: هذا يعني اننا زملاء. انا طبيب أيضا.

نيما: اه هذا جدا رائع!

أرش: (مسرور لكن لايزال مشوش) لكن كيف فعلتها اغلب الشباب هنا اما حراس امنيون او سماسرة عقارات، لكنك حصلت على وظيفتك!

نيما: حسنا الأمور كانت جدا مختلفة هنا قبل عشرون عاما. لقد كانت هنا معاملة خاصة للأجانب المتعلمين، لكن لسوء الحظ كل شيء هنا انقلب رأسا على عقب في السنوات الماضية، او من الأفضل القول القوانين أصبحت أكثر صرامة.

رضا: كل شيء في حالة تغيير مستمر!

أرش: يبدوا انه ليس هنالك أي أمل لي للعمل كطبيب في تورنتو؟

نيما: من قال هذا؟ على الرغم من صعوبة الامر لكنه لايزال غير صعب المنال. فقط تذكر انها تأخذ وقت طويل مثل حضور بعض الدورات للحصول على شهادة الخبرة ثم بعدها تستطيع التقديم للوظيفة التي تراها مناسبة.

أرش: (يخرج قليلا من حالة الإحباط) انت محق، يجب ان لا اخسر المعركة قبل أن أحاربها!

نيما: بالتأكيد.

أرش: (يبتسم) بالمناسبة، هل يوجد هنا تسهيلات للأقارب و الأصدقاء!

نيما: (يضحك) التحيز للأقارب يبدوا كأنه داء عالمي. هنا يسمونه "تواصل".

أرش: اه، هكذا إذا!

نيما: في البداية انت تحتاج لوظيفة لتعيش، لكن بطريق طويل هنالك أمل دائما للحصول على وظيفتك المهنية.

أرش: أه! بالواقع لقد بعت كل ممتلكات حتى العيادة على أمل ان أجد الوظيفة المشابه هنا.

نيما: (يفتح عينه بشكل واسع مع علامات المفاجئة بوجهه) مااذا؟ لماذا فعلت ذلك؟

أرش: لماذا لا افعل؟ أردت ان أركز كل اهتمامي على الحياة في كندا. لا اريد اي نوع من أنواع المعوقات.

نيما: لا يوجد ضمان هنا للحصول على نفس الوظيفة. ربما سوف تغيير رأيك و تعود. لم يكن عليك ان تحرق قاربك بيدك!

أرش: يجب ان يكون هنالك عقد أخلاقي بين العمال الماهرين و الحكومة الكندية!

نيما: توقف عن هذا يا رجل!

أرش: هل تقصد ان كل شيء في هذا البلد هو عبارة عن مقامرة يائسة؟ انت تجعلني اتخيل هذا البلد يبدوا كنادي ليلي؛ ربما سنخرج رابحين أو خاسرين!

نيما: الموضوع ليس بهذا الغموض! انا أقصد لا يوجد ضمان هنا لأي شيء.

أرش: أنا اثق بمؤهلاتي الطبية و كذلك ثباتي.

نيما: هذا مجتمع مستهلك. هنا بصعوبة تستطيع العيش مع شهادة جامعية رصينة، لكن مع دورات خبرة قصيرة (اعطى ابتسامة حزينة). لا تعتمد كليا على مؤهلاتك الطبية. من يعلم ربما سوف تكون مجبر لتعلم

مؤهلات جديدة و ليس لها علاقة بشهادتك الجامعية من خلال حضور دورات قصيرة. بعدها لو كنت محظوظا سوف تحصل على وظيفة. بالطبع هذه كلها توقعات محتملة!

أرش: هذا ليس عادلا بالمطلق؟

نيما: لا يوجد شيء عادل في هذا العالم. لا تقلق سوف تعتاد على الامر مثل البقية، كما قال جورج برنارد شو" الرجل مخلوق من عادات".

أرش: (بنظرة طويلة) سوف استمر في الصراع على أية حال.

نيما: أمل ذلك، سوف تحقق نجاحا بتحقيق أحلامك و أيضا ستستمتع بالكثير من جوانب الحياة الأخرى هنا، بصورة خاصة الرعاية الصحية و رهن أملاكك ها، ها، ها.

أرش: أمل ذلك.

نيما: لا تكون محبط انا أحاول ان اعطيك صورة واضحة عن الحياة هنا. انت ذكي ومجتهد عاجلا أم أجلا سوف تكون مؤهلا للعمل كطبيب.

أرش: أتمنى ذلك!

نيما: (يحاول تغيير الموضوع) فقط أنسى الامر! بالمناسبة أين تسكن؟

أرش: استأجرت شقة في فينش.

نيما: لا ترتكب الخطأ الذي ارتكبته.

أرش: ماذا تعني؟

نيما: عندما اتيت هنا استأجرت شقة لمدة سنتين، دفعت لهم ثمان مائة دولار كل شهر. هذا يعني أني ألقيت تسعة آلاف وستمائة دولار سنويا في صندوق القمامة، لكن كنت محظوظا بشكل كافي فلقد تعرفت على دكتور فريد وقد ساعدني في شراء منزل بدل الايجار.

أرش: (لا يبدوا انه سوف يتخلص من كابوس العمل) هل كان دكتور فريد يعمل في المستشفى؟

[نيما يتظاهر كأنه لم يسمع السؤال]

نيما: لقد استمعت له واشتريت منزل في تلال ريتشموند. ربما انت لن تصدق لقد اشتريته بمبلغ مائتان وخمسون ألف دولار، والان يساوي أكثر من مليون دولار.

أرش: هذا جدا رائع! هل تقترح أن اشتري منزل؟

نيما: أفضل ذلك، هذا سوف يكون القرار الحكيم الذي ربما ستختاره لبدء حياتك معه. حقا، إنه يمكن أن يكون استثمار ذكي.

أرش: (أعتقد أن فريد يعمل كدكتور) بالمناسبة هل دكتور فريد لايزال يعمل في المستشفى أم تقاعد؟

نيما: هو لم يعمل مطلقا في أي مستشفى. هو جراح عام وأعتاد العمل في أيران بهذه المهنة، لكن ليس هنا. هو لم يكن محظوظ بشكل كافي للحصول على نفس الوظيفة. في الحقيقة، هو نفسه لم يحاول كثيرا أيضا. هو واحد من الناس الغير محظوظين!

أرش: (يشعر بالإحباط) حسنا ماذا كان يعمل، أو ما هو عمله هنا؟

نيما: هو كان ولايزال سمسار عقارات.

أرش: (شعر بالصدمة وبخيبة الامل) يا له من تغيير! يا لها من ترقية! من جراح عام الى سمسار عقارات! كما اعرف كندا هي بلد تهتم بحقوق الانسان. لماذا لا يمكن للطبيب ان يكون طبيبا، او الأستاذ الجامعي كأستاذ جامعي في هذا البلد الديمقراطي؟ الا تعتقد أن هذا التردي وعدم الاهتمام بالشهادة العلمية هو بحد ذاته مخالفة لحقوق الانسان؟

[نيما كتم الانفاس والصوت لفترة]

نيما: لكن، هنا الكثير من الأشخاص الذين أتوا قبل عشرون أو ثلاثين سنة، وأغلبهم نجحوا بشكل جيد، لكن بالطبع أشخاص مثل فريد لم يكونوا محظوظين.

أرش: لكن الأشياء تبدوا كأنها اتجهت نحو الأسوأ، التعليم الجيد لا يبدوا وكأنه ورقة رابحة هنا. في هذه الفترة القليلة التقيت بالعديد من الأشخاص المتعلمين، الذين ببساطة يقومون بأعمال للعيش فقط، وبالطبع هذه الاعمال هي مأساوية!

نيما: اتفق معك، بعض الحالات قد تعتبرها غير منصفة، لكن هذا لا يعني أن التعليم ليس مهم!

أرش: أذن من هو المسؤول عن حياة هؤلاء التعيسة، من يمتلك تعليم جيد لكن يجب عليه أن يحارب من أجل البقاء؟

نيما: لقد اختاروا بأنفسهم هذه الحياة، لذا يجب عليهم أن يبتسموا ويتحملوا النتيجة.

أرش: اعلم ذلك، لم يطلب رسميا منهم السفر الى كندا. لكن، لكن من أختلق فكرة "الهجرة الى كندا"؟ من مهد الطريق للمهاجرين؟ من أغراهم؟ بالتأكيد الحكومة الكندية!

نيما: أهدأ، دكتور لا تنسى هنا توجد العديد من الأشياء الجميلة، التي تجعل الحياة ممتعة.

أرش: أنا لا أنكر الأشياء الجيدة هنا، لكن الأجزاء المريرة تجعلك حزين بشكل لا يصدق ومدمرة! يبدوا أن كندا تشعر بالفخر لامتلاكها سائقي سيارات الأجرة، طهاة، وسماسرة عقارات.... جميعهم مهندسين وأطباء، واغلبهم مهاجرين من أسيا او جنوب أمريكا! (يبتسم بسخرية)

نيما: ليس الامر كذلك؛ لا تكون جدا متشائم. دعني أعطيك مثال عن ابني؛ لقد أكمل دراسته بتخصص هندسة البرمجيات من جامعة تورنتو، والان، حصل على وظيفة بدوام كامل بشركة. هو شخص ناجح جدا.

أرش: بالتأكيد انها جيدة بالنسبة للأطفال، الذين يكبرون هنا ويكملون دراستهم الجامعية هنا.

نيما: أذن ينتظر أطفالك مستقبل جيد أيضا.

أرش: يبدوا كذلك، كندا جيدة بالنسبة للذين يأتون لا شيء، او يأتون الى هنا وبحوزتهم أموال طائلة. الذين لا يملكون شيء ليس لديهم شيء ليخسروه، والأغنياء الذين يأتون لا يحتاجون لوظيفة، ببساطة يستمتعون بأموالهم. قلقي مرتبط بالغير محظوظين من العمال أصحاب المؤهلات، الذين تحطموا، تراجعوا وتغيروا الى لا شيء!

مهدي: بعض الأحيان، نحن بحاجة للتغيير والتفكير مثل البقية، كما قيل قبل "طالما لم نرجع ونصير مثل هذه الابقار، لن يكتب لنا أن ندخل في ملكوت السماوات. لان هناك امرا واحدا لا بد ان نتعلمه الا وهو: الاجترار. [١]

[أرش عاجز عن النطق تماما]

[أرش عزم على الذهاب الى مونتريال لزيارة صديق قديم، لكن في الأخير استقر في تورنتو، ابتعد تدريجيا من أصدقائه وفي نهاية المطاف فقد الاتصال بهم]

المشهد الثالث

[في شهر أذار، ٢٠١٥. الثلوج تتساقط بغزارة على مدينة تورنتو. رضا وأصدقائه خططوا للتجمع في مكان ما والاحتفال بعيد النار، اتفقوا أخيرا على الذهاب إلى ساحة لاستمان ميل]

رضا: (على الهاتف) سلام. مهدي ماذا تفعل اليوم في الليل من أجل الاحتفال بعيد النار. [٢]

مهدي: سلام، ربما نحن على الغالب سوف نذهب الى ساحة لاستمان ميل. أعتقد، فرشيد أمين [٣] سوف يحضر. أحب اغنيته نسترن. ماذا عنك؟ هل سوف تأتي، أو ستذهب إلى مكان أخر؟

رضا: حسنا، ربما سوف أذهب الى مركز المدينة. أعتقد، هنالك برنامج في ساحة دونداس أيضا. لكن، دعني أتكلم مع البقية وأعطيك الجواب.

مهدي: حسنا، في انتظارك.

[أخيرا قرروا جميعا الذهاب الى ساحة لاستمان ميل، بينما هم يرقصون ويغنون، رضا لمح أرش بين الجموع]

رضا: (ينادي من وسط صراخ و ضوضاء الجموع التي ترقص) انظروا شباب، إنه هناك! أليس ذلك هو أرش؟ نعم، هو. دعوني أذهب اليه. (بينما هو يحاول الحركة بين الجموع المزدحمة، فقد أثر أرش). يا ألهي أعتقد أني أضعته!

[بينما البرنامج شارف على الانتهاء، قرروا الذهاب الى ستاربوكس]

مهدي: دعونا نذهب الى ستاربوكس لنحتسي القهوة.

رضا: نعم دعونا نذهب.

[ذهبوا الى ستاربوكس في ساحة لاستمان ميل]

مهدي: أنظر هناك! أرش يجلس هناك.

[ذهبوا اليه جميعا]

رضا: سلام، أرش، أين كنت؟ اختفيت كأن الأرض أنشقت و أبلعتك! لقد مضت خمس سنوات منذ أخر مرة رأيناك فيها.

نيدا: (زوجة رضا): كيف حالك، أرش؟ لقد أصبحت جدا نحيف، وفقدت شعرك، يبدوا أنك تعمل بجد. رجل مسؤول (تضحك) أين سارة، زوجتك الجميلة؟ اشتقت أليها كثيرا. أطفالك الرائعين حتما الان أصبحوا كبار. لقد مرت فترة طويلة.

[أرش لم يتفوه بكلمة واحدة، لكن هذه المرة هو جدا حزين وبحالة كئيبة]

أرش: من الرائع ان أراكم جميعا بعد فترة طويلة. في الواقع، كل هذه السنين، كنت أحاول أن أستقر لكن الى الأن لم أستطع تدبر الامر.

[الجميع يضحك ويقدرون حس الدعابة لديه]

مهدي: هل سافرت الى إيران خلال هذه الخمس سنوات؟

أرش: كلا، مطلقا. لم أشعر بالرغبة.

رضا: لقد تغيرت كثيرا، دكتور؟ أعتقد أنك استقريت في تورنتو. انت الان مواطن كندي. كيف تشعر الان؟ عظيم بطبيعة الحال!

نيدا: تذكر؟ في أول الامر، كيف كنت خائف ومحبط! كنت تبكي كدجاجة كبيرة. اليوم انت شخص مختلف.

أرش: انت محق تماما. انا حقا شخص مختلف الان.

نيدا: لم تخبرنا عن زوجتك وأطفالك. هل هم قريبين من هذا المكان؟ (تنظر حولها ربما تستطيع رؤيتهم).

أرش: لقد غادروا توا. سارة لم تكن تشعر بأنها على ما يرام، لكنهم جميعا بصحة جيدة. هم يستمتعون بحياتهم هنا في تورنتو.

رضا: أخبرنا المزيد عنك ماذا تعمل هنا؟ هل تعمل في المستشفى ام ماذا؟

أرش: (يتنهد) كلا، لقد حاولت كثيرا، لكن....

رضا: ماذا تعمل الان؟

أرش: أنتم جميعا قلتم لي تحلى بالصبر وأعطي لنفسك بعض الوقت!

رضا: صحيح!

أرش: وهذا ما فعلته.

رضا: حسنا!

أرش: لقد قلت لي يجب أن أنتظر من سنتان إلى خمس سنوات لكي أستقر و لكن في الواقع طوال هذه الخمس سنوات أبدت تماما. ربما، انا لم أكن جيدا بما فيه الكفاية لكي أتحدى الحياة هنا. التحقت بدورات مختلفة وحصلت على شهادات مختلفة، لكن في نهاية المطاف أنتهى بي الامر أن أعمل لدى مستودعات تيم هورتونس و.....

رضا: أنت تمزح بالتأكيد!

أرش: (يحاول البوح عن مشاعره المكبوتة) أكره عندما أصدقائي يكتبون لي رسالة ويلقبوني "دكتور". شعرت أن طن من الأعباء تجثوا على قلبي وعقلي. أخترت العزلة لكي أراجع نفسي، لكن انصدمت بالوحدة، كل شيء بدى غريب بالنسبة لي. كنت غريبا بالنسبة لنفسي، لزوجتي واطفالي.

رضا: يا رجل! هل تتحدث بشكل جدي أم تحاول ان تخدعني؟

[أرش يغرق بعالمه الحزين ولم يبالي لما قاله رضا، يستمر باسترجاع ومشاركة رحلته صاحبة الخمس سنوات]

أرش: لقد عرفت أني بدأت بفقدان احترام الاخرين. كنت أشعر بالخوف من تعاطف زوجتي وأبنائي ونظراتهم الغريبة لي.

كل يوم، كنت في صراع لاسترجاع هويتي الضائعة، لكن اه اه اه....

رضا: من أجل الله، امنحني دقيقة!

[أرش يستمر بالحديث...]

أرش: في يوم من الأيام، قررت العودة الى إيران، لكن قراري كان جدا متأخر. كنت قد خسرت كل شيء، والأكثر أهمية هو أطفالي لم يكونوا متحمسين للعودة؛ زوجتي بدأت باستعمال خطاب جديد، حيث بدأت بانتقادي بسبب تعاملي الغبي مع المشاكل، وجدتني مسؤولا عن الحياة التي عشناها، ترمي اللوم على عاتقي كوني لم أستطع أن أحصل على وظيفة في المستشفى. أنها تلومني بكل شيء.

رضا: أسمع، أرش، نحن هنا كعائلة. نستطيع أن نساعدك. لا تكن محبط لهذه الدرجة.

[أرش يبدوا كالأطرش.... ويستمر بالحديث]

أرش: شعرت كأنما انا المسؤول عن مخاوف المهاجرين. نعم، أصدقائي الأعزاء، لقد تغيرت. لقد تغيرت جذريا. لقد تغيرت بصورة لا أستطيع ان أتذكر من كنت.

رضا: امممم.

أرش: نعم، انت محق؛ الجزء الأفضل بالقصة هو أننا في كندا، المجتمع المتحضر والديمقراطي، حيث يتم الحكم عليك بناء على استحقاقاتك. نعم، أنا في كندا. انا مواطن كندي. أنا فخور بالاحترام والهوية التي حصلت عليها هنا.

[الجميع يشعرون بالحزن، كما لو أنهم يتشاركون نفس الألم الداخلي]

علي: لا تكون غير منصف وتخلق وحش من كندا. هنا يوجد العديد من المهاجرين، وبالتحديد من أيران، الذين كانوا عبارة عن لا شيء في أيران، لكن حصلوا هنا على وظائف جيدة ويعيشون سعداء.

أرش: لكن أنا لا أتكلم عن الأشخاص الذين أتوا إلى هنا "لا شيء". انا أتحدث عن الأشخاص الذين وصولوا "شيء" ثم تحولوا الى "لا شيء"!

رضا: لا تنسى أن مستقبل أطفالك مضمون هنا. سوف يتعلمون لكي يكونوا مستقلين.

أرش: انت محق تماما؛ هم سوف يتعلمون كيف يكونوا مستقلين، ليس فقط الأطفال، لكن النساء أيضا (مع ابتسامة عريضة)!

علي: فكر مثل الكنديين؛ انظر إلى الحياة من جوانب مختلفة. هذا السبب لوجودك هنا.

أرش: (بنبرة صوت خائفة) يبدوا أن علينا إعادة ترتيب أنفسنا؛ حقا، نحن بحاجة الى طريق للنسيان، لكن أتمنى ان نصاب بحالة من فقدان الذاكرة حال وصولنا الى كندا.

علي: بالله عليك...

أرش: عندما كنت في إيران، اعتدت على مشاهدة برامج التلفزيون من أوربا وشمال أمريكا. يتكلمون بصورة جميلة عن حقوق الانسان ويبدون كراهية شديدة للتمييز. كنت معجب بشدة بشعورهم العالي بالإيثار والإنسانية. كنت أشعر بالغيرة من كل الناس و الذين يمتلكون هكذا مجتمعات مع حكومات تشعر بالمسؤولية، وكندا كانت برأس القائمة...

علي: لا تعتقد ان كل ما سمعته كان حقيقي؟ دعني أعطيك مثال عن كندا الخاصة بنا؛ انها بلد متنوع الأعراق والثقافات؛ لا يوجد تمييز بينهم مطلقا. كل شخص يعيش بسلام؛ كل شخص مشغول بحياته الخاصة؛ الحكومة مسؤولة عن الجميع بشكل متساوي؛ الناس يحصلون على فرص متساوية، لكن بعض الأشخاص ينتهزونها والبعض الاخر لا ينتهزها.

أرش: (يعطي ابتسامة ساخرة) بالله عليك، توقف عن خداع نفسك! اتعجب! انت حقا اعمى، أطرش وأخرس، أو أنت تتظاهر أنك أعمى العين وصاحب أذن صماء للحقائق التي حولك؟ حقا، أنت لا تحتاج الذهاب بعيدا؛ فقط أنظر الى نفسك كيف كنت وكيف أصبحت!

رضا: لا تكن جدا محبط صديقي. لقد أذيتني. أنت تملك سيرة ذاتية جيدة. بدلا من الانين والتذمر، لماذا لا تقدم طلبا وتجرب حظك؟

أرش: حظي الغير محظوظ! تتذكر، في إيران المؤهلات الجيدة مع خبرة جيدة كانت تعتبر نقطة إضافية للحصول على عمل، لكن هنا (يضحك بقوة) هي عدوتنا!

رضا: ماذا تقصد؟

أرش: توقف يا رجل! تعرف جيدا ماذا أقصد. مرة أخرى أنت تحاول أن تخدع نفسك. خلال السنوات الخمسة، لقد قدمت طلبات عديدة لمراكز صحية مختلفة، لكنهم اعتبروني "ذو مؤهلات تزيد عن المطلوب".

علي: مؤهلات تزيد عن المطلوب؟!

أرش: صدقني، لأول مرة أسمع هذه الكلمة المخيفة في كندا. أنا حقا لا أعلم هل "مؤهلات تزيد عن المطلوب" تعني أني لست مؤهلا كفاية، أو غير مؤهل أصلا أول مؤهل بصورة كبيرة!

رضا: نعم، الكثير من المراكز ترفض المتقدمين، ببساطة يصفونهم "ذو مؤهلات تزيد عن المطلوب"!

أرش: المصطلح الأكثر رعبا، سخافة وإهانه، والذي يبرز في كندا.

رضا: أرى أن لا أحد سعيد بهذا المصطلح. أرش: للأسف، المتقدمين من المتعلمين تعليما جيدا يبدوا أنه مكروهين لكونهم "ذو مؤهلات تزيد عن المطلوب"! هذا المصطلح الدموي جعلني عاجز عن التفكير!

مهدي: لسوء الحظ، العديد من الأطباء والأشخاص المتعلمين تركوا عائلاتهم وعادوا الى أيران. فقط يأتون الى هنا كل بضعت شهور لرؤية عائلاتهم. هذا حقا جدا محزن!

ارش: هذه هي مرحلة التعذيب!

مهدي: هذا صحيح.

أرش: هل تذكر عندما قمنا بملء استمارات الهجرة؟ هناك، تعليم جيد وأصحاب خبرة جيدة تعتبر كنقطة مؤهلة للمتقدمين للعمل. مثيرة للسخرية أو لحسن الحظ، ذو المؤهلات العالية وذو الخبرة لم يصنفوا كأشخاص ذو مؤهلات تزيد عن المطلوب الكندية! لكن كيف أخبرتنا المؤهلة التي تجعلنا مؤهلين، في نفس الوقت تجعلنا غير مؤهلين للعمل في كندا؟

مهدي: هذا سؤال مشترك وراسخ في عقل الجميع. لأكون أكثر وضوحا، هنالك العديد من الأشخاص يخفون وظائفهم عن أبنائهم. لا يحبون أن يعرف أبنائهم أن والدهم وصل الى هذا الوضع في الحياة المثير للشفقة، كالعمل لدى تيم هورتونس أو العمل كسائق أجرة....، على كل حال، هذا الكتمان و المراوغة سوف ينكشف في يوم من الأيام.

رضا: بصراحة يوجد العديد من الأشخاص يرغبون بالعودة الى بلدانهم لكن هم خائفون من الاستهزاء الذي ينتظرهم هناك. فهم يفضلون الصبر لأنه ليس في اليد حيلة.

أرش: (بأنين) انا لست متشائم. لقد أتيت الى كندا مع الكثير من الحب والاحلام الجميلة. كنت متلهف بفرح للاستقرار في المجتمع، الذي فيه عامل الأهلية الرئيسي للمهاجرين يجعلهم مؤهلين بدرجة كبيرة، المهارات الجيدة والخبرة الجيدة، لكن يبدوا أني كنت أتعقب سراب!

رضا: (متأثر) انت تعيد تنظيم ماضيك وحاضرك، لكن لا أزال عندما أرى الأطفال الذين أتوا الى هنا سعداء وناجحين، أنسى ما عانيته شخصيا من الألآم هنا. أعتبر ما عانيته تضحية إيجابية.

أرش: لكن أشعر بأني أضيع الوقت بأمور غير مهمة!

رضا: فقط أهدأ!

أرش: (جانبا) [٤] في أرض أحلامي الكلاب محبوبة لكن الانسان يجب عليه أن يعمل مثل الكلاب للعيش وألا سوف يترك وحيدا! يبدوا هنالك حنين الى الحكمة القائلة "من الأفضل ان تكون رأس كلب على أن تكون ذيل أسد".

[الجميع يغادر ويذهبون الى منازلهم]

المشهد الرابع

[بعدأسبوع واحد في برج سي ان]

[أرش يتذكر يومه الأول في تورنتو وزيارته الأول لبرج سي ان، حيث يقرر الذهاب الى برج سي ان. يقف على برج سي ان وينظر الى المدينة، يقارن زيارته الأولى مع هذه الزيارة]

أرش: (مناجيا نفسه) [٥] اه يا برج سي ان! (يغص) مستحيل أن أنسى زيارتي الأولى لقد كنت واقفا هنا مع زوجتي وأطفالي، بالضبط اين أقف الأن عندها كنا نستمتع بكل ثانية من مشاهدة المنظر الجميل. لقد عدت أليك ثانية لكن لوحدي....(انفجرت دموعه وبدأ بالبكاء بصوت عال). اليوم اكتشفت ان هذا المنظر لا يتعدى الأوهام فقط. اليوم وجدت أني يتيم، اليتيم الذي فقد زوجته وأطفاله ووظيفته وكذلك هويته. زوجتي وعدتني بأنها سوف تكون معي في السراء والضراء لكن للأسف! أشعر بالخجل من نفسي. لقد عدت من جديد على عائلتي. لقد دمرت كل الجسور، أضعت كل شيء. أنا لا شيء. اللاشيء مفهومة جيدا أن اذهب الى المنزل وحيدا. لقد تحولت الى لا شيء وحيدا تماما... لا شيء. فقد بنيت قلاع في السماء (يبكي بيأس) ... في السماء.... في السماء...

[الستار]

١- فيدريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت.

٢- يحتفل الإيرانيين بهذا العيد مساء يوم الأربعاء الأخير في السنة قبل عيد نوروز (السنة الإيرانية الجديدة).

٣- فرشيد امين مغني بوب أيراني.

٤- مصطلح يستعمل الدراما والمسرح، على الجانب تحصل عندما المحادثة تقع لكن لا تسمع من قبل الممثلين الاخرين على المسرح.

٥- المناجاة أو المنولوج (من الاتينية solo "للنفس" + loquor "أنا أتحدث") هي أداة تستعمل على المسرح عندما الشخصية تتكلم مع نفسه أو نفسها، تربط الأفكار و المشاعر، وبالتالي تشارك هذه الأفكار مع الجمهور، تعطيهم صورة خيالية تظهر كأنها سلسلة من الخواطر الغير معلنة.